

فصل في الإيمان والدين

ص (والإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، قال الله تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } [البينة: 5]. فجعل عبادة الله، وإخلاص القلب، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، كله من الدين، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق } فجعل القول والعمل من الإيمان. وقال تعالى { قَرَأَتْهُمُ إِيمَانًا } [التوبة: 124]. وقال: { لِيَزِدُوا إِيمَانًا } [الفتح: 4]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله. وفي قلبه مثقال برة، أو خردلة، أو ذرة من الإيمان } فجعله متفاضلا. (أ) ما الإيمان لغة وشرعا مع الدليل (ب) وما معنى كون الأعمال من مسمى الإيمان. (ج) وما الدليل على زيادته ونقصه وتفاضله. (د) وما المراد بالزيادة والنقص؟ ج 42 (أ) الإيمان لغة التصديق الجازم بالشيء، ودليله قوله تعالى: { وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا } [يوسف]، أي بمصدق، وشرعا ما ذكر في المتن من كونه قولا باللسان، وعملا بالأركان، واعتقادا بالجنان. والأدلة عليه كثيرة، كقوله تعالى: { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ } أي صلاتكم إلى الشام قبل صرف القبلة، وتكرر في السنة جعل الأقوال والأعمال من الإيمان، ففي الصحيحين عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لوفد عبد القيس { أمركم بالإيمان بالله } ثم فسره بالشهادتين، وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل خصال الخير من الإيمان كصيام رمضان، وقيامه، وقيام ليلة القدر، والجهد، والحج، واتباع الجنائز، وأداء الأمانات، ونحوها. وكذا الحديث المذكور، وهو حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان } رواه البخاري ومسلم فالشهادة قول باللسان، والإمطة عمل جوارح، والحياء عمل قلب، وقد جعل ذلك كله من شعب الإيمان. (ب) ومعنى كون الأعمال من الإيمان، أن المؤمن الموقن بكل ما جاء عن الله، يحمل يقينه على المبادرة إلى العمل، فتكون تلك الأعمال من الإيمان والدين الذي يدين به، لأن الباعث عليها ما في القلب من اليقين. وقول اللسان. يراد به الكلام كالشهادتين، والذكر، والدعاء، والتلاوة، وسائر الأقوال الخيرية. والعمل بالأركان. وهي الجوارح، هو كالصلاة، والصوم، والحج، والجهد، وتغيير المنكر باليد، ونحوها. والعقد بالجنان. أي بالقلب يراد به التصديق، والإخلاص، والتوكل، والمحبة، ونحوها، وكل هذه الأعمال من مسمى الإيمان، لأنها من آثاره. وذهب بعض (المعتزلة) أن الإيمان مجرد التصديق فقط. فكل من صدق الرسول عليه الصلاة والسلام، وإن لم يتبعه، كاليهود، فهو مؤمن عندهم. وعند (الجهمية) الإيمان هو المعرفة بالله فقط، فأبليس، وفرعون والمشركون، واليهود، والنصارى، ونحوهم، مؤمنون كاملو الإيمان عند الجهمية، لأنهم يقررون بوجود الله، ويؤمنون به ربا وخالقا، وإن جحد بعضهم كفرعون عنادا. وقالت (المرجئة) الإيمان هو الإقرار باللسان، دون عقد القلب، فالمنافقون عندهم مؤمنون لأنهم مفرون بألسنتهم. وهناك أقوال أخر ظاهرة البطلان. ودلالة آية البينة ظاهرة، حيث ذكر العبادة، والإخلاص، والصلاة، والزكاة، ثم قال: { وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } والدين هو الإيمان. وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل المشهور { هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم } فجعل أركان الإسلام الظاهرة، وأركان الإيمان، وركن الإحسان، كل ذلك من الدين. (ج) وأما أدلة زيادة الإيمان ونقصانه فكثيرة جدا، كقوله تعالى { قَرَأَتْهُمُ إِيمَانًا } [آل عمران]، وقوله { لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ } [الفتح: 4]، وقوله: { وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا } [المائدة: 1]، وقوله { وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا } [الأنفال: 2] وقوله: { فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِرَأْسِهِ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا قَرَأَتْهُمْ إِيمَانًا } [التوبة]، وكل ما قبل الزيادة، قبل النقص، وفي الصحيحين قول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة العيد: { ما رأيت من ناقصات عقل ودين } إلخ. (د) والمراد بالزيادة والنقص، تفاضل الناس في الدين، بحسب كثرة العمل، وما يقوم بالقلب؛ فإذا عمل خيرا كذكر وصدقة وجهاد، زاد إيمانه، فإن عمل معصية كسب ونهب وكبر وحسد، نقص إيمانه، فهذا سبب التفاضل في الأعمال والأديان. قوله صلى الله عليه وسلم: { يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان } رواه البخاري ومسلم وغيرهما بالفاظ كثيرة، وهو ظاهر في تفاضل أهل الإيمان، بحسب ما يقوم بالقلب، من قوة اليقين، أو ضعفه. و(البرة) الحبة من البر أي الحنطة المعروفة و(الخردلة) حبة الخردل أي الشجر المعروف ووجه ضرب من الحرف يشبه حب الرشاد إلا أنه أصغر منه و(الذرة) واحدة الذر، هو صغار النمل المعروف.